



ما بعد رحيله

info@darak-eg.com 

02 24832669-010 27251915 

51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة. 

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.



بهاء حجازي

ما بعد رحيله

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي- تنسيق داخلي:

info@sekoon.com



رقم الإيداع: 2017/22243

الترقيم الدولي: 2-02-6634-977-978

الطبعة الأولى: 2017

بهاء حجازي

ما بعد رحيله

رواية



إلى الإخوة القابعين بمنتصف الطريق، لا هُم قادرون على المضي
لشكهم في جدوى النهاية، ولا هُم قادرون على العودة لعجزهم عن
البدء من جديد.
هذه حكايتي.. فتقبلوها..

إهداء خاص جداً

إلى روح أبي الطاهرة.. اطمئني، وصية أبي قيد التنفيذ.
إلى أمي التي كانت تخشى تجربة طعام جديد فتقع في غرامه.

قال ابن القيم:

ماذا يفعل أعدائي بي؟ إن سجنوني فسجني خلوةً مع الله،
وإن نَفوني فنفيي سياحةً، وإن قتلوني فقتلي شهادة؛ أنا جنّتي
في قلبي وقلبي بيد ربي.

المرأة لغزٌ مفتاحه كلمة واحدة هي: الحُبّ.

فريدريك نيتشة

كل ما أوردته "لافانيا" في مذكراتها تم تظليله بالمداد الأسود.

(1)

25 يناير 2010

لهذا التاريخ ذكريات كثيرة في حياتي، سأتغاضى عنها جميعاً، لا شيء إلا لأنني أتلذذ بإخفاء التفاصيل حتى تبدو الصورة مبهمّة، الصور المبهمة أكثر جذباً، أو هكذا يُخيّل لكم، الحدث الأهم الذي يحمل تاريخ 25 يناير هو يوم ذهابي إلى منطقة تجنيد أسيوط. كانت الرحلة من بلدي إلى أسيوط شاقة. ركبنا قطاراً متهاكاً، لم نكن نعلم من منا يركب الآخر، هل نركب نحن القطار أم أن القطار يركبنا، الحمل كان علينا أثقل مما عليه، تعرفون صقيع يناير، وتعرفون أيضاً أنه لا نوافذ في قطارات السكّة الحديد، وتعلمون أيضاً أن برد الشتاء لا يشعر به إلا حبيباً مفارقاً أو جندياً يقف على الحدود، أو أم هذا الجندي.. وقد كنت أشعر به رغم أني لا أنتمي إلى أي فئة حتى الآن.

استقلّ القطار معي من بلدتنا مجموعة من الفتيات لم يكن لي أن أعرفهم وأنا من أبناء الصعيد ممن ذهبوا للقاهرة فأعجبتهن وأصبحت سكنهن وملاذهن وأصبحوا حين تسألهم عن بلدهم يقولون لك: "القاهرة". الأنظمة المتتالية خلقت بالنظام المركزي دولة داخل الدولة؛ فماذا سألت صعيدياً مسافراً للقاهرة والجزيرة سيقول لك إنه مسافر إلى مصر وكأن بلده ليست مصرية.

درستُ في كلية الزراعة، وعشت بالقاهرة سنواتٍ أربعٍ كانت كفيلة بتغييرى من حالٍ إلى حالٍ.. شاربي الكث تخليت عنه، وشعري الذي اعتاد أن يأتي جانبًا من تلقاء نفسه اكتشفت فجأة أنه لا يعارض في أن يعود للوراء، وحرورى الصعيدية القوية الجزلة أصبحت رقيقة، أصبحت إنسانًا غير الإنسان، للدرجة التي قال أبى فيها لأمى فى أولى إجازاتى التى بدأ التغير جليًا علىّ بها: ”هتسمّى بتك الجديدة إيه يا فكيهة؟“

”فكيهة“ اسم أمى، هو اسم صائب لجدى الذى لم يُصَب فى شىءٍ إلا اسمها، كانت فكيهة فعلاً.. جميلة محمرة الخدين كأنها وُلدت لتوّها، كانت تحمل عقب الدنيا وجمالها، كنت لا أجد راحتى إلا معها، تصديقًا على قول أحدهم: ”ليس فى العالم وسادةٌ أنعم من حضن الأم“، أما أبى ”أحمد“؛ فكانت علاقتنا سويًا غير سوية، كنت أنا وهو كأعضاء البرلمان اليابانى، كنا لا نتفاهم، وإن تفاهمنا، سريعًا ما تقودنا لحظات التفاهم إلى لحظات كدر تطول وتطول، أبى ليس سيئًا ولا أنا، إنه فقط صراع الأجيال، أبى قال لى مرة ونحن فى ساعة صفاء وساعات صفاء الآباء قليلة: ”عارف يا ولدى، إنت فرحة عمري، الفرحة اللى الواحد جه الدنيا علشان ياخذها، فخلاص.. بعديها الدنيا ما بقتش ليها عازة، يعنى يوم ما ملك الموت هيجي يلاقينى مستعد ومبسوط أربعة وعشرين قيراط، عارف يوم ما مسكتك بإيدى وانت حنة لحمه حمرا، حسيت قلبي هيتخلع منى عاوز ينط برايا ويشوفك، خلّفت قبلك بنات وعنجهم قوي.. ما عنكرهش عطية ربا أنا، لكن إنت غير.. إنت سند البنات، إنت اللى هتخش على أختك فى المواسم وتخلي رقيتها مرفوعة فُدام ناس جوزها، من غيرك، أختك حمائها هتعايرها وتقول لها يا قليلة الناس، وانت اللى هتشيل كرى لما نموت، وانت اللى هتقف تاخذ عزايا.. وأصحابى يبصوا فى عينك

ويقولوا خلفت يا أحمد.. إنت يا ولدي الحاجة اللي هتخليني نائم في التربة مرتاح.. كيف ما عنحكش.. كيف ما نُحبش الأرض اللي عنخطي عليها رجلك.. وكيف ما أتمناش أكون النعل اللي بتحط فيه كعبك.. يا ولدي، إنت صورة مَيّ وحدِّش عَيْكره صورته.

يومها احتضنت أبي كثيراً، وظللت أقبّله كأنني عرفت للتو أنه والدي. نصيحة ميني، إذا كنت تقرأ كلامي هذا الآن، وكان والدك حيًّا يُرْزَق، اذهب إليه وقبّله، قبّله بضراوة واحتضنه، أخبره أنك تحبه، أخبره أنك منه وإليه وبه، خذ منه ما شئت من الأحضان وابك بين يديه.. استمد منه القوة التي ستبحث عنها فيما بعد ولن تجدها وقتما تكتشف غيابها، في أشد أوقات احتياجك لها سيظهر لك من يحتاجها منك، احضنوا آباءكم قبل أن يحتاج أبناءكم أحضانكم.

جمال الفتيات اللواتي ركن القطار معي جعلني أويخ نفسي على المكوث في القاهرة طويلاً، ولحُسن حظي كانت الفتيات يقصدن أسبوط أيضاً، إذاً، فالرحلة ستطول.. منهم من تدرس الطب، ومنهم من تعيش كوابيس بسبب هندسة الفراغ وثالثتهما تحمل فوق صدرها طفلاً يعاني من ضيق التنفس قاصدة به مستشفى أسبوط العام، وأنا رابعهم، على كرسي تعلوه جراج العسل الأسود القادم من نجع حمادي المكان المفضل لجلب العسل.. إلا أن العسل هذه المرة كان يجلس إلى جوارِي.

كنت أقرأ في المجموعة القصصية "السباحة فوق الرمال" للعبقري ثروت أباطة، وبالأخص في قصة "لا تدري"، في حين تلصقت دراسة الطب في محاولة منها لقراءة العنوان المدوّن على الكتاب، كان الاسم مكتوباً بخطّ أسود شبيه إلى درجة كبيرة بخصلة الشعر المتدلّية من الفتاة التي تحمل الطفل مكروش الأنفاس.

- السباحة فوق الرمال.

نطقُها وأنا أنظر إليها بأسفل عيني حتى لا أشعرها أنني ضبطت عينها المتلصصة والتي تتحلى بكونها جميلة أيضاً، انتظر.. إن عينها جميلة جداً، وبرغم تعمُّدي ألا تشعر بالإحراج إلا أنها شعرت، إنها فتاة صعيدية لو لم تشعر بالإحراج لشعرت بوخزٍ في ضميرها، بينما جاء تعليق طالبة الهندسة يحمل ضيقاً وغصةً كانا جليين قبل أن تنطق، فإن لم تشعر طالبة الهندسة بالغصة فمَن لها إذًا، قالت غاضبة ناكرة وواجمة:

- سباحة إيه ورمال إيه.. إحنا عارفين نعوم في الميِّه لما هنعوم في الرمال.. اتأخر والنبي يا أخويا مش ناقصة زنقة.

من تدرس الهندسة جدير بما أن تتقدم إلى التجنيد فور الانتهاء من الدراسة، هي لا تقل خشونة عمَّن يدرس الزراعة، آه لو كان القرار بيدي لألحقتهن بسلاح المشاة، ولكنها طريقة كلامنا في مصر؛ نرمي بأوجاعنا في حجر من يزاملنا في حافلة أو في رحلة أو في عمل، فيواسينا بكلمات من قبيل "أزمة وهتعدي.. كله تعبان.. ما حدش من المهم خالي"، ورغم علمنا بكل هذه الكلمات والجمل المحفوظة عن ظهر قلب إلا أنها تريح، هو إحساس أشبه بمعرفتك بقصة فيلم عربي قديم ومع ذلك تتوق إلى نهايته.

ارتفع صوت أنفاس الطفل الصغير على صدر من تحمله، ثم تبع الصوت تنهيدة تلتها همهمات من الفتاة، فهمت بخبرتي أنها تلوم أمها على الإنجاب الكثير، ولم تلتقط أذني سوى جملة واحدة: "واحنا يطلع عين أبونا.. الله يرحمك يا أبويا".

فهمت بعدها أن هذا الفتى أخوها من أمها فقط "أو هكذا خُيِّل لي"، وظهر جلياً في عينها معاناتها مع زوج أمها.. فكرة زوج الأم مكروهة في